مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣)

قراءة نقدية فى ديوان مقامات رجل واحد

للشاعر الدكتور سلامة العمرى

إعداد

د / على عبد اللطيف عبد الرحمن سليم

مدرس الأدب والنقد فى كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر وأستاذ النقد المساعد بكلية الآداب والعلوم بوادى الدواسر - جامعة سلمان بن عبد العزيز

السنة ٢٣ العدد (٨٩) ابريل ٢٠١٢م

http : // Arl.menofia . edu. eg *** E- maii: rgfa2012@ Gmaii.com

Scanned with CamScanner

ملخص البحث:

يُعنى البحث بتقديم دراسة جادة عن شاعر معاصر ، يمثل التيار الرومانسي خير تمثيل، وذلك من خلال ديوانه الشعري" مقامات رجل واحد" .

والديوان يحمل بين طياته مجموعة متنوعة من القصائد،متباينة في الرؤية والمضمون ، وتحمل – أيضا _ بين ثناياها مجموعة من القيم النبيلة، والمشاعر الفياضة، والعواطف الرقراقة، والأحاسيس المرهفة، لذا كان دافعي إلى إنجاز هذا البحث هو محاولة الكشف عن هذه القيم، وتجليتها، وإظهار جمال الأدب العربي أمام أعين النشء لتتفتح مداركهم على مثل هذه الإبداعات التي ترتقي بالوجدان، وتسمو بالنفس الإنسانية.

وقد بنيت بحثي هذا على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

والمقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطة البحث.

والتمهيد: تناولت فيه التعريف بالشاعر وديوانه.

والفصل الأول: بعنوان:(أبرز موضوعات الديوان) وجاء في ثلاثة موضوعات:

أولاً- الإحساس بالغربة عن الذات، ومحاولة البحث عنها.

ثانيًا- التغني بالألم، والشكوى ، والميل إلى الحزن والتشاؤم.

ثالثًا- الاهتمام بقضايا الأمة العربية.

والفصل الثاني بعنوان:(أبرز المعالم الفنية في الديوان) وجاء في خمسة موضوعات:

أولًا- الاستقاء من البيان القرآني

ثانيًا- استلهام التراث العربي الأصيل

ثالثًا- الصورة الشعرية

رابعًا- المفارقة

خامسًا- إيحائية العناوين وشاعريتها

الخاتمة: وقد أودعتها أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، ثم أتبعتها بقائمة المصادر والمراجع.

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد، الهادي البشير، والسراج المنير ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

و بعد

فإن الشعر فن العربية الأول، وجوهر تراثها التليد، وديوان أيامها، وسجل مفاخرها، ومظاهر حياتها المتنوعة. تغنى به الشعراء، وتسابقوا في حلبته، وهاموا بروضته، وقد حظي باهتمام دارسي الأدب ومحبيه، وطالبي البيان وعاشقيه، ليكشفوا عن قيمه النبيلة، وفوائده الجليلة.

وفي عصرنا الحاضر نال بعض الشعراء اهتمام الباحثين والنقاد مما أتاح لهم الشهرة والانتشار، بينما هناك طبقة أخرى من الشعراء المغمورين، الذين عاشوا في الظل، لم تسلط عليهم الأضواء، فأغمط حقهم، وغفل النقاد عنهم، فلم يلتفتوا إلى نتاجهم الشعري بشيء من البحث والدراسة والتحليل.

وموضوع هذا البحث يتناول أحد هؤلاء الشعراء من خلال قراءة نقدية لديوانه (مقامات رجل واحد)، هو الشاعر الدكتور/ سلامة محمد رضا مصطفى العمري، الذي رزقه الله موهبة شعرية طيعة، وحسا مرهفا ،جعله يحلق في سماء الشعر.

وديوانه المذكور يعد صورة صادقة لنفس الشاعر وما يعتمل في صدره، وانعكاسا لشخصيته الأدبية المتمردة، التي رأت في شعر التفعيلة الشكل الذي يتناسب مع تجربته وإبداعه.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب ، أهمها:

أولاً- محاولة الكشف عن مواهب أدبية حقيقية، وتقديمها للساحة الأدبية في زمن قل فيه الشعراء الحقيقيون، وخفت صوتهم، وتصدر الساحة متشاعرون أو أنصاف

Scanned with CamScanner

مواهب ، فملأوا الساحة الأدبية بالغث مما يطلقون عليه شعرا، وذلك من خلال دراسة جادة تعرض لنتاجهم الشعري، واستخراج ما فيها من قيم نبيلة، وجماليات فنية، لنكشف عن وجهة الشاعر الأدبية، ورؤيته الشعرية.

ثانيا- الاهتمام بالأدب العربي، وبخاصة الشعر الفصيح لدى أبناء جامعة سلمان بن عبدالعزيز، وتقدير المجيدين منهم، وإعطاؤهم حقوقهم.

ثالثا- المشاركة الإيجابية في خدمة المجتمع من خلال ربط الجامعة به،وتقديم البحوث والدراسات الأكاديمية التي تسهم في رقيه ،وتدفعه إلى التقدم والازدهار، من خلال إظهار جمال الأدب العربي أمام أعين النشء لتتفتح مداركهم على مثل هذه الإبداعات التي ترتقي بالوجدان، وتسمو بالنفس الإنسانية.

ويعتمد البحث على المنهج التكاملي الذي يجمع بين المنهج الفني والوصفي والنفسي والتاريخي والاجتماعي... ويوظف المعارف كافة في دراسة النص ونقده، مع الاستعانة بجهود العلماء والباحثين في حقل الدراسات الأدبية والنقدية.

وقد بنيت بحثي هذا على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

فالمقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطة البحث.

والتمهيد: تناولت فيه التعريف بالشاعر وديوانه.

والفصل الأول: بعنوان:(أبرز موضوعات الديوان) وجاء في ثلاثة موضوعات:

أولاً- الإحساس بالغربة عن الذات، ومحاولة البحث عنها.

ثانيًا- التغني بالألم، والشكوى ، والميل إلى الحزن والتشاؤم.

ثالثًا- الاهتمام بقضايا الأمة العربية.

والفصل الثاني بعنوان:(أبرز المعالم الفنية في الديوان) وجاء في خمسة موضوعات:

أولًا- الاستقاء من البيان القرآني

ثانيًا- استلهام التراث العربي الأصيل

ثالثًا- الصورة الشعرية

Scanned with CamScanner

رابعًا- المفارقة

خامسًا- إيحائية العناوين وشاعريتها

- **خربشات على وجه الديوان:** وهي وقفة سريعة، فيها تحفظات على بعض معاني الشاعر في ديوانه.

الخاتمة: وقد أودعتها أهم النتائج التي توصل البحث إليها ، ثم أتبعتها بقائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل أن ينفع به، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الباحث

د. علي عبداللطيف عبدالرحمن سليم

Scanned with CamScanner

تمهيد

التعريف بالشاعر والديوان

أ - التعريف بالشاعر :

•- مولده ونشأته:

في الأول من شهر (سبتمبر) سنة تسع وستين وتسعمائة وألف من الميلاد، وفي قرية(حبكا) التابعة لمحافظة (إربد) بالمملكة الأردنية الهاشمية ولد الشاعر " سلامة محمد رضا مصطفى العمري" لأسرة لم تنل من الغنى، ولم ينل منها الفقر. حيث كان أبوه يعمل بالتجارة، من أجل الإنفاق على أسرته المكونة من الزوجة (ربة المنزل) وستة من الأبناء،أربعة من الذكور، واثنتين من البنات.

نشأ شاعرنا في كنف والده، الذي حرص على تعليمه بعد أن رأى فيه نبوغا وتفوقا عن أقرانه ، وما إن سار الشاعر في دراسته الابتدائية حتى فاجأه القدر بوفاة أبيه ليتلقى الشاعر بذلك أول صدمة من صدمات الحياة، وهو إن لم يكن شعر بها في ذلك الوقت، فإننا نشعر بأثرها في شخصيته الأدبية من خلال نتاجه الشعري، الذي يكشف عن نفس صبغها الحزن، و أضناها الألم.

•- بداياته مع الشعر:

وأما عن مرحلة البداية مع كتابة الشعر فيقول عنها:

" لقد كتبت الشعر في مرحلة مبكّرة من حياتي ، ولكن لم يكن ذلك على سبيل الانحياز إلى رؤية شاملة في الكتابة.آنذاك لم تكن أدواتي قد اكتملت ، ولم أمتلك التأييد النفسي الكامل للتجربة الشعرية التي صغتها تحت وطأة الفهم الخاطئ لجوهر الشعر. هذه المرحلة التي احتضنت طفولتي الشعرية استمرت إلى ما قبل الدخول في العقد الثالث من عمري ، حيث أسفرت قراءتي المتأنية لمساحة كبيرة من التراث الشعري العربي ونماذج الحداثة في الشعر العربي الحديث عن إحساسي بأنّ القصيدة لدي أصبحت ذات امتيازات جديدة في الشكل والرؤية"([1])

[1] - جلسة مع الشاعر ، بتاريخ ٢٠١٢/٣/١٧م

Scanned with CamScanner

• - رؤيته للشعر:

مما لا شك فيه أن الشعر الحقيقي يسمو بالنفس، ويرتقي بالحس، لما فيه من تهذيب للعواطف، وتجسيد للمشاعر، لذا حرص كل شاعر على أن تكون له رؤية خاصة لهذا الفن، وشاعرنا - في نظرته للشعر - له رؤية صادمة ومتمردة، فهو يقول:

" إنّ الشعر الحقيقي ينهض جوهريًا على نفي المسلّمات، فهو يسعى إلى التماس الرؤية التي تكرّس شرعية كلّ ما هو مختلف. ومن ثمّة لم يكن لي ولع بالإقامة في مدينة الغزالي، أو صحراء المتنبّي. وما يهمني أن أرى كلّ قصيدة أكتبها تسفر عن ولادة شاعر جديد. إذن، لا عجب أن يكون فضاء الفكرة الشعرية سرياليًا، أو صوفيًا ، أو رمزيًا في اللحظة التي يضيق فيها هامش التأويل. إنني لا أومن بتكييف التجربة الشعرية مع شروط المذاهب الأدبية التي تثقل على الإبداع بأقفاص المعايير الصارمة"([1])

ولعل في نشأة الشاعر وترعرعه عقب نكسة ١٩٦٧م، وهذا المناخ المشحون بالصراعات، والمليء بالمتناقضات، وما صاحب ذلك من ألم وحرمان، وحيرة وقلق ، وإحساس بالغربة عن الذات ما يفسر لنا رؤيته الصادمة للشعر، ودفعه إلى التمرد على الشكل المتوارث للقصيدة العربية ، ومحاولة الغوص داخل أعماق النفس الإنسانية؛ بحثًا عن الذات.

وأما عن طموحه الشعري، فيقول:

" إنني أسعى أن أصل بصياغة الأنموذج الشعري إلىَ استجلاب الرؤية التي تجعل من قلقي سلاماً، يبيح لي الإحساس بلذة الاكتشاف والعبور على أصل الأشياء. الإحساس بالتناقضات في هذا الوجود يجعلني أبحث عن مدخل للتصالح مع ذاتي"([2])

---

[1] - جلسة مع الشاعر ، بتاريخ ٢٠١٢/٣/١٧م

[2] - جلسة مع الشاعر ، بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٤م

Scanned with CamScanner

مؤهلاته العلمية :

بعد أن حصل الشاعر على شهادة الثانوية بتفوق أصر على أن يلتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، جامعة اليرموك ؛ ليصقل موهبته الأدبية التي بدأت تتشكل في وجدانه، وبالفعل تخرج فيها سنة١٩٩٩م بتقدير (جيد جدا)، وكان هذا التفوق دافعا في أن يواصل تعليمه فقد حصل على درجة التخصص (الماجستير) في الأدب والنقد بتقدير (ممتاز) من جامعة اليرموك /٢٠٠٣م .وكان الأول على دفعته.

وكانت رسالته بعنوان : (الإيقاع الشعري في ضوء النظام التحويلي للدائرة العروضية) ، ثم حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد بتقدير (ممتاز) من جامعة اليرموك / ٢٠٠٧ م، وكان الأول على دفعته أيضا.
وكانت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في النقد الأدبي بعنوان:(موت النقد الأدبي/قراءة في جدلية الثقافة والنص).

***- خبراته العملية :**

عمل الشاعر في خدمة اللغة العربية وأدبها من خلال عدة وظائف قام بها، منها:

- مساعد بحث وتدريس في جامعة اليرموك لمدة أربعة فصول دراسية من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠٠٢م.
- مدرس للغة العربية في المرحلة الثانوية في وزارة التربية والتعليم الأردنية لمدة سبع سنوات ، من عام ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٦م.
- أستاذ مساعد في جامعة سلمان بن عبدالعزيز /كلية الآداب والعلوم لمدة خمسة أعوام ، من عام ٢٠٠٨م وحتى الآن.

***- الجوائز الأدبية والأكاديمية التي حصل عليها :**

- حصل على لقب شاعر جامعة اليرموك عام ١٩٩٧م .

Scanned with CamScanner

- وحصل على لقب شاعر الجامعات الأردنية لمرتين متتاليتين من العام ١٩٩٧م إلى العام ١٩٩٩ م.
- كما حصل على درع التفوق الثقافي لمرحلة البكالوريوس عام ١٩٩٩م.
- وحصل على درع التفوق الأكاديمي لمرحلة الماجستير عام ٢٠٠٣م.
- حاصل على درع التفوق الأكاديمي لمرحلة الدكتوراه عام ٢٠٠٧م.
- حاصل على عديد من جوائز التقدير لمشاركته في الندوات الشعرية والثقافية بالمملكة الأردنية.
- نتاجه الأدبي :

- ديوان شعر بعنوان(مقامات رجل واحد) وهو موضوع هذا البحث،وقد أجيز من مجلس اتحاد الكتاب الأردني، وأخذ موافقة بالنشر في عام٢٠٠٨م.

بحوثه ودراساته المنشورة :

١- مفهوم موت المؤلّف بين الاتّساق والتشتيت. مجلة الدراسات العربية (محكمة). جامعة المنيا . العدد (٢٥) ٢٠١٢م.

٢- التأسيس اللساني للأسلوبية بين البلاغة والنقد الحديث.موافقة نشر. مجلة كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر الشريف.

٣- شكري عياد وموقفه من البنيوية . مجلة أفكار . تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية . العدد (١٥١) ٢٠٠١ م.

٤- علائقية النص وانتصاص المكان في العمل الروائي / هاشم غرايبة أنموذجًا . مجلة أوراق . تصدر عن رابطة الكتاب الأردنيين .٢٠٠١م.

٥- التدقيق الثقافي لمحتوى السرد في الرواية العربية – الفرانكفونية /نورة فرج : " ارتباكات الهوية " وخيارات الاعتماد السياسي . جريدة الوطن القطرية . ٢٠٠٧/١٠/١ م.

٦- موت النقد الأدبي . مجلة البحرين الثقافية . العدد (٥٠) ٢٠٠٧م.

٧- التفكيكية بين نقض الأنموذج البنيوي وتأهيل الفراغات . جريدة الرأي الأردنية ٢٠٠٧/٩/١ م.

Scanned with CamScanner

٨-موافقة على خطة بحث مدعوم مالياً من جامعة سلمان بن عبد العزيز تحت عنوان: التأويل الإيقاعي للتداخل بين الرجز والسريع في الشعر العربي ٢٠١٢م.

ب - التعريف بالديوان:

•- يقع هذا الديوان في أربع وتسعين صفحة من القطع المتوسط، ويضم ثماني عشرة قصيدة ، اختار الشاعر شعر التفعيلة قالبا لها، واختياره هذا يكشف عن روح شاعرة متمردة ، تبحث عن التميز من خلال كسر القيود، والخروج عن المألوف.

• - يبدأ الديوان بصفحة العنوان (مقامات رجل واحد) ثم الإهداء، من دون كتابة مقدمة تكشف عن هذا النتاج الشعري، أوالمنهج الذي اتبعه في كتابة و تبويب هذا الديوان.

• - افتتح الشاعر ديوانه بقصيدة (بصيرة) ، وختمه بقصيدة (غريب)، وبينهما جاءت القصائد التالية: (ضمير منفصل- مقدمة لحنين مؤجل- هامش للوطن ومتن للغياب- رواية الحلم الثاني عشر- ملاسنة البحر للوابسة- للعتمة البيضاء قمر أسود- على العتبات دمي والهواء- خارطة لليل المنتظر- مقامات رجل واحد- ونتلوا النشيد ختاما- جمرة النشيد الأخير- قلق مقتضب- ثنائية الليل والضياء- ظلمة- بدايات صهيل- في جهنم).

وقد تنوعت القصائد بين الطول و القصر،ويجمعها قواسمُ مشتركةٌ، أهمُّها اعتمادُها على شعر التفعلية، وهي ذاتُ اتجاهٍ غنائيٍّ، حزينِ النَّبْرةِ، وفيها صور شتى لانكسار الإنسان العربيّ وعجزه في زماننا الحاضر.

•- تنوعت موضوعات هذه القصائد ، ما بين الحديث عن الإحساس بالغربة عن الذات، ومحاولة البحث عنها، و التغني بالألم، والشكوى، والميل إلى الحزن والتشاؤم، والاهتمام بقضايا الأمة العربية.

•- لم يقدم الشاعر لقصائده بمقدمة، أو إشارة تكشف عن مناسبتها، بل ترك للقاريء تلك المهمة.

•- أخذ هذا الديوان موافقة بالنشر من اتحاد الكتاب الأردنيين عام ٢٠٠٨م ، وهو الآن قيد الطبع، وحصل الشاعر به على عضوية اتحاد الكتاب الأردنيين .

Scanned with CamScanner

وقفة مع عنوان الديوان والإهداء

• العنوان : (مقامات رجل واحد) :

يشير إلى دلالات عدة، يريد الشاعر توضيحها، وتأكيدها، منها:

١ - اتكاء الشاعر على التراث العربي الأصيل باستخدامه مفردة (مقامات)، وما تحمله من عبق تراثنا الخالد، يبين أن هذا الشاعر ابن أصيل لهذا التراث الثري يعتز به، وينهل من معينه، وهذا واضح في ثنايا القصائد، وسنتطرق إلى ذلك في حينه.

٢ - استخدام الشاعر كلمة (رجل) بدلا من كلمة (شاعر) ليعليَ من صفة الرجولة، ويبين أن هذه الصفة(الرجولة) هي الصفة التي ينبغي أن تتوفر- أولا- في الإنسان، ثم يأتي بعدها أي شيء، وقد تكون كل الصفات داخلة في صفة الرجولة.

٣ - أن ما بين دفتي هذا الديوان – مع ما فيه من تباين في الرؤى والمضامين- إنما هو لشاعر واحد، وصف نفسه بالرجولة بكل ما تحمله الكلمة من معان، وأكد هذا المعنى بقوله (واحد) حتى لا يتسرب إلى ذهن القاريء أن هذه الإبداعات لأكثر من رجل، بل إن تلك التجارب الإنسانية عايشتها نفس شاعرة واحدة.

Scanned with CamScanner

* الإهداء :

كتب الشاعر في صدر ديوانه الإهداء التالي:

(إلى من كشفت لي عن وهم الإنسان الحي، فعرفت أن الحياة معها ستكون قصيرة إلى الأبد)

وهو يكشف منذ الوهلة الأولى عن سمات شخصية الشاعر الأدبية، فهو ينزع إلى الحزن، ويميل إلى الألم، ويتغنى بالأوجاع، وأراه يمثل التيار الرومانسي خير تمثيل، وسيكشف البحث ذلك عند قراءة القصائد وتحليلها.

الفصل الأول

أبرز موضوعات الديوان

القارئ لديوان (مقامات رجل واحد) يقف أمام عمل شعري مختلف؛ من حيث أن الشاعر لم يسلك نهج كثير من الشعراء في الحديث عن الأغراض الشعرية المطروقة، لكنه – كسائر الرومانسيين – يلجأ للتعبير عن مكنون نفسه،فينكفيء على ذاته، ويجنح إلى الحيرة والقلق أو ما يعرف بالهروب الرومانسي في معظم قصائده.ويميل إلى التشاؤم والشكوى، وكل هذه السمات تكشف عن روح شاعرة متمردة ، تبحث عن التميز من خلال كسر القيود، والخروج عن المألوف، وسيظهر ذلك من خلال استعراض الدراسة للموضوعات الشعرية التي حفل بها الديوان، والتي من أبرزها ما يلي:

أولاً- الإحساس بالغربة عن الذات، ومحاولة البحث عنها.

وتسمى بـــ"الغربة الروحية" التي يستشعرها الإنسان حتى وهو في وطنه، وبين أهله، وغالبًا ما نجد هذا الشعور عند أصحاب المبادئ والمثاليات الذين يرفضون كثيرًا من الأوضاع الاجتماعية والسياسية في أوطانهم ، وهو من الموضوعات التي مسّها القدماء في أشعارهم مسًّا خفيفا، من مثل " ابن الرومي" حينما قال:

Scanned with CamScanner

أعاذكَ أنسُ المجدِ من كلِّ وحشةٍ *** فإنك في هذا الأنام غريبُ(١)

ويتجسد مفهوم الاغتراب في" مظاهر العزلة الناتجة عن إحساس الفرد بأن الآخرين لا يواكبونه فكرياً، وعما يسود المجتمع من ثقافات مشوهة، وتضليل سياسي، وتضارب في الآراء والأفكار، والموضوعية الناتجة عن وعي الفرد بوجود الآخرين كشيء مستقل عن نفسه، أو عن تميزه في اختصاصه أو تفرده بعمل معين"(٢)

ويظهر هذا المعني جليا في أكثر من موضع في قصائد الديوان، ويمكن القول بأن هذا الموضوع هو المسيطر على الشاعر في ديوانه، بل لا تخلو قصيدة من الإشارة إليه تصريحا أو تلميحا، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها:

قوله في مطلع أول قصيدة في الديوان(بصيرة):

يا أنا ... منذ السنين البائدةْ

خاتني الوقتُ

ولم أزرعْ نهارًا في العيونِ الشاردةْ

وتثاقلتُ إلى منفايَ

هذا الصمتُ مرآتي الأخيرة

وخيولي العائدةْ (٦)

فهو يشعر بالغربة عن ذاته، ويخاطب نفسه بقوله:(يا أنا) مستخدما أداة النداء التي ينادى بها البعيد، وكأنه أنزل نفسه منزلة البعيد عنه، للدلالة على أن الشاعر يشعر بالغربة عن نفسه، ويشعر بانفصال عن ذاته، وانفصام عن

---

١ - ديوان ابن الرومي ، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، ج ١، ص ٩٤،الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢ - الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني. للدكتورة مريم جبر فريحات. مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٦– العدد الثالث+الرابع ٢٠١٠ م، ص ٢٩١.

٣ - ديوان مطامات رجل واحد ص٣

Scanned with CamScanner

شخصيته، وهما تشتد هموم الشاعر ، وتتوقد شاعريته، ويتوهج وجدانه ، لأنه يعيش بمعزل عن الذات والواقع معا.

أيضا تأتي ألفاظه الموحية من مثل قوله: (الهائدة- خانني- الشاردة- تثاقلت- منفاي- الصمت) لترسم بريشتها صورة القلق النفسي الذي سيطر على الشاعر وبخاصة في استخدامه للفعل(تثاقلت) وما يوحيه من بطء، وعدم رغبة في الخروج من تلك الحالة التي هو عليها من معاناة وغربة.

وفي قصيدة (للعتمة البيضاء قمر أسود) يقول:

وكنتُ أفتشُ بعد غيابكِ عنّي
وكنتُ أعودُ إليّ لأهربَ منّي
أعوذُ بكِ الآنَ من شرِّ قلبي لئلّا أكونَ قصيًّا
أنا اليومَ أغسلُ حزني بحزني
وأخمشُ جلبابَ ظنّي بظنّي(٧)

فالشاعر يحاول – مجتهدا- أن يبحث عن ذاته التي فارقته بعد فراق محبوبته، وكأنه يومىء إلى أن روحه ونفسه مرتبطة بها، فما إن فارقته المحبوبة فسرعان ما فارقته روحه التي بين جنبيه، وهو يحاول أن يرتمي في أحضان نفسه ليهرب من نفسه، وليلملمَ ما تبقى من روحه، وقد ملأه الحزن، وسيطر عليه الألم.

واستخدام الشاعر للفعل (أفتش) وما يوحي به من جدية وحرص على الوصول لهدفه يرسم صورة لحيرة الشاعر التي تملكته فجعلته يشعر باغترابه عن نفسه.

كذلك اعتماد الشاعر على الاستعارة في قوله:(أنا اليومَ أغسلُ حزني بحزني) وما توحي به من شدة آلامه، وكثرة أحزانه، يكشف عن مدى معاناته النفسية التي تسيطر عليه.

وفي قصيدته (جمرة النشيد الأخير) يصرح بذلك جليا في قوله:

---

٧ – ديوانه: ص ٤٧/٤٨

Scanned with CamScanner

ما كنتُ أدري أنّ لي قمرًا يضيءُ ولا يضيءُ
حاصرتُ ظلّي بالبكاءِ ، هربتُ منّي كي أجيءُ
لم أقتربْ
لم أبتعدْ
مرّ طعامي في العراءِ
وما يزمّلني هناكَ قميصُ نارْ
ما عادَ لي كفنٌ
أصدُكَ يا دمي بدمي.. تعبتُ من الجراحْ
فتّشتُ عنّي لم أجدْني
أين تأخذني الرياحْ؟!([8])

فالشاعر لديه إحساس بالفقد والضياع ، والوحشة والاضطراب، وقد تمثل شعور الاغتراب والحيرة لديه في قوله: (ما كنتُ أدري أنّ لي قمرًا يضيءُ ولا يضيءُ) وقوله: (هربتُ منّي كي أجيءُ) ويتنامى شعور الحيرة لديه حينما يقول: (لم أقتربْ لم أبتعدْ) كل هذه المعاني يشكلها في صورة حزينة يائسة، أسهمت في رسمها ألفاظه المنتقاة بعناية، من مثل قوله :(البكاء- هربت- مر طعامي- العراء- قميص نار- كفن- دمي – الجراح) ، ويختم هذه المقطوعة بالاستفهام التعجبي الإنكاري (**أين تأخذني الرياحْ؟!**)، وكأنه يتعجب و يستنكر على نفسه قلة حيلته وعجزه ، منتظرا مصيره الذي ستحدده له الظروف.

ومن أكثر النماذج الشعرية التي تجأر بغربة الشاعر عن ذاته، وتفصح عن قلقه وحيرته، قوله مخاطبا نفسه:

أتُراني سأخرجُ منّي ؟
وأخْلي التوحّدَ بيني وبيني؟
أأمسكُ صوتا ينادي على اسمي؟
فتبلغني العاديات
وأصبح ضدي معي
هل سأشهدُ في غيبتي مصرعي؟([9])

---

[8] - ديوانه ص ٨٢
[9] - ديوانه ص ٣٠

Scanned with CamScanner

فالشاعر في هذه المقطوعة لا يلجأ إلى التلميح بما يعانيه، وإنما يجار بالتصريح؛ و اعتماده على أسلوب الاستفهام – الذي كرره أربع مرات – لما له من خاصية إثارة الذهن وتحريك العقل ولفت الانتباه، يوحي بحيرته وقلقه.

كذلك استخدام الشاعر للمفارقة – التي كررها أيضا أربع مرات – (ساخرج مني – وأخلي التوحّدَ بيني وبيني؟- وأصبح ضدي معي- هل سأشهدُ في غربتي مصرعي؟) أسهمت في رسم صورة للشاعر ، أهم ملامحه فيها إحساسه بالغربة عن ذاته، وانكساره ورفضه لهذا الواقع .

والقصيدة في جملتها تنطق بالأسى والحسرة ، ويخيم عليها جو من الحزن العميق، أسهم في تشكيله حرف (الياء) الذي نشعر مع ترديده بالأنين والألم الداخلي وكأنه يصور معاناة الشاعر النفسية وآلامه .

وهكذا في كثير من قصائد الديوان (١٠) يعلنها الشاعر صريحة أنه دائما يبحث عن ذاته، ولكن تأتينا الإجابة سريعة بأنه لم يستطع أن يعثر عليها، أو يعرف أسرارها .

ثانيًا– التغني بالألم، والشكوى ، والميل إلى الحزن والتشاؤم.

وهذه المعاني يكثر دورانها في شعر الرومانسيين، " فهم كثيرا ما يفضون بأحزانهم ويصورون آلامهم، التي تكون أحيانا واضحة الأسباب مبررة، وأحيانا أخرى غائمة مجهولة المصدر، حتى لترى الواحد منهم وكأنه يحزن لمجرد الحزن، ويشكو لمجرد الشكوى، أو كأنه يجد في الحزن متعة، أو في الألم لذة .... ولعل ذلك لاعتقادهم أن الألم يطهر النفس، والحزن يسمو بالروح، أو لاعتقادهم أن الألم من سمات الحسّاسين، والحزن من صفات الواعين الشاعرين".(١١)

---

١٠ – من مثل قصائد :ضمير منفصل،رواية الحلم الثاني عشر، ملامسة البحر للبابسة .

١١ وحي الحرمان ، عبدالله الفيصل ، ص٣٢٠، دار الأصفهاني، جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

Scanned with CamScanner

والمتأمل في ديوان (مقامات رجل واحد) يجد أن الشاعر - في قصائده - يتلذذ بالألم، و يتغنى بالأوجاع، ويميل إلى الحزن والتشاؤم، ولو في أية قصيدة من قصائد الديوان فإنك ستجد هذا واضحا جليا، فعلى سبيل المثال الحصر، في قصيدته (للعتمة البيضاء قمر أسود) نراه يقول:

تنامين وحدكِ في خيمةِ الهمّ، لا ...
وأقرأ شيئًا جديدًا
دمي سالَ عن إصبعيكِ غيابا
وكنتُ أحبُّ الذبولَ وأهربُ مني
وأحزنُ حينَ تفيضُ الطريقُ اغترابا
تُرى مَنْ يبيعُ الثرى للعوالمِ خبزًا
ومَنْ يشتري لغةَ البوحِ مني؟!([12])

فالمتأمل في مفردات الشاعر يرى أنها منتقاة بعناية، وكاشفة عما في الشاعر من حزن وألم، من مثل قوله:(خيمة الهم- دمي سال - أحب الذبول أحزن - اغترابا) وكلها دالة على عاطفة الشاعر الحزينة التي صبغت القصيدة بصبغة الحزن والألم.

كذلك أدت الأفعال المضارعة من مثل: (تنامين- أقرأ- أحُب- أهرب- أحزن- تفيض- يبيع) التي تفيد التجدد والاستمرار دورها في إظهار عاطفة الشاعر المتألمة التي يرغب في استمراريتها ، وكأنه يتلذذ بهذا الألم .

وفي القصيدة نفسها نراه يؤكد هذه المعاني، فنظرته إلى الحياة يغلب عليها النظرة القاتمة، إذ يتملكه الحزن، ويحتفي به البؤس، يقول:

تعودُ الرياحُ
تئنُ الرياحُ
وينطفئ العمرُ... لا تبتغينَ وداعا

[12] - ديوانه ص ٣٩

Scanned with CamScanner

ونمضي غريبين نبحثُ عنّا
ويحتفلُ اليوسُ فينا
ونألفُ رغم الضّياعِ الضياعا
هنا وهناك تموتُ النوارسُ والبحرُ يشقى
فماذا تبقّى؟
وطفلُ المقابرِ أغمضَ عينيه يأبى السّماعا(١٣)

فأنين الرياح، وانطفاء العمر، واحتفال اليوس، وموت النوارس، وشقاء البحر، كلها صور حزينة، أضفت على النص حزنا مكثفا، شعَّ إليه من نفس الشاعر، وانطبع ذلك على القارئ.

غير أن الشاعر في نهاية المقطوعة في قوله: (وطفلُ المقابرِ أغمضَ عينيه يأبى السّماعا) لجأ إلى ظاهرة تراسل الحواس ،وهي من الوسائل التي يعتمد عليها في بناء الصورة الشعرية، والتي يعرفها الدكتور محمد غنيمي هلال بقوله: " وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطى المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغاما، وتصبح المرئيات عاطرة"(١٤)

فالشاعر يسند وظيفة الأذن وهي السمع للعين،ولعل استخدام الشاعر لتراسل الحواس مرده إلى الحالة الشعورية الحزينة والمتوترة التي يعاني منها في كثير من قصائد الديوان.

وفي قصيدة(خارطة لليل المنتظر) يقول:

كأنّي أفرُّ من الظلماتِ إلى الظلماتْ
كأنّي أرمّمُ في القلبِ عارَ الفصولِ
وأزرعُ ما تبقّى على صخرةِ الذكرياتْ
حكايتكِ اليومَ أعرفها
يا غريبةُ
مدّي يديكِ لنزرعَ جمرةَ إنشائنا

١٣- ديوانه ص٤٦

١٤ ـ النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٤١٨، دار العودة- بيروت ١٩٨٧م.

Scanned with CamScanner

ونوثُثَ رحلتَنا بالبكاءِ المريرِ(١٥)

فلو تأملنا النص السابق لوجدنا الشاعر بدأه بالظلمات، وانهاه بالبكاء المرير، وما بينهما (عار الفصول- صخرة الذكريات- حمرة الإنشاء)، وتعبير الشاعر ب(الظلمات) جمعا يوحي بالكثرة والمبالغة في شدة الظلمة، ولم يكتف بهذا ، بل إمعانا في تكثيف الحزن، وتصوير الألم، نراه يختم قصيدته هذه بقوله:

متعبًا كنتُ أصرخُ من غيرِ فمْ

لماذا خسرنا الحقيقةَ؟

هذا هو الصوتُ يرتدُّ في داخلي

كلما تجرحُ الريحُ وردتنا

تصبحُ الأرضُ بعدَ صهيلِ الحكايةِ بقعةَ دمْ(١٦)

فالحزن والتشاؤم يجأران في النص، وألفاظ الشاعر جاءت دالة على ذلك، من مثل قوله:(متعبا – أصرخ – تجرح – بقعة دم).

وللحقيقة فإن ما ذهب إليه الشاعر من تكثيف الحزن والألم في قصائد الديوان يجعلنا نتعاطف وجدانيا وإنسانيا مع هذه النفس الشاعرة المرهفة، ويجعلنا نشاركه آلامه التي تغنى بها.

ثالثًا- الاهتمام بقضايا الأمة العربية.

كان الشعر العربي – ولا يزال – ضمير الأمة، ولسانها المدافع عنها، المعبر عن آلامها وآمالها، داعيا أبناءها المخلصين إلى النهوض بها والوقوف أمام المحتل الغاصب ، ومحاولاته المستميتة طمسَ هويتها، وهدمَ كيانها ، إن لم يكن بالاحتلال العسكري فبالاحتلال الفكري والثقافي، وضرب القيم الراسخة في الوجدان العربي.

وقد ألهب هذا الاحتلال قرائح الشعراء- على اختلاف مذاهبهم، وتباين رؤاهم – فأكثروا من الحديث عنه وعن الدعوة إلى مقاومته في قصائدهم.

وليس معنى أن شاعرنا ينتمي إلى الاتجاه الرومانسي، وما يتسم به من التركيز على التعبير عن الآلام الذاتية، والهموم الفردية، والتجارب الشخصية، أن

---

١٥ – ديوانه ص٦٢

١٦

يكون بمعزل تام عما تمرُّ به أمته العربية من محن وخطوب ، تسلب حريتها، وتستعبد شعوبها، بل وجدناه مهموما بقضايا أمته ، التي شغلت- ولا تزال تشغل - أذهان كثير من أبناء الأمة العربية المخلصين، فنراه يألم لما يحدث في غزة، وما يحدث في العراق من قتل وتعذيب، وتشريد وتخريب، فهو يأسى لكل بلد عربي أصابه الاحتلال البغيض، ويأبى إلا أن يشارك إخوانه في هذه الأقطار العربية الشقيقة محنهم، ويقاسمهم آلامهم، يقول في قصيدته(هامش للوطن ومتن للغياب):

ما عدتَ تعرفُ يا بنَ غزَّةَ مَنْ تكونْ؟
هل أنت ظلُّ للنبوءةِ حين تحضنك السماءْ؟
أم رايةٌ للحربِ مزَّقها السكونْ؟
لكنكَ المقتولُ في زمنِ البطولةِ
يا سليلَ الحزنِ
فاخرجْ من ثيابك
واقرأ المعنى لتعرفَ أن قلبكَ لا يخونْ
ودعِ المدى يا سيدَ المأساةِ يكبرُ في يديك
دعْ جلدكَ العاري يمرُّ على شواطئنا
ويملأُ بحرنا ألمًا يطوفُ بمقلتيك(١٧)

حينما نتأمل هذه المقطوعة الذي يتحدث فيها الشاعر عن محنة غزة وأبنائها الذين يقدمون أرواحهم فداء لها نجد أن الشاعر قد اعتمد على الأسلوب الإنشائي وبخاصة (النداء ثلاث مرات- الاستفهام ثلاث مرات- الأمر أربع مرات) لما لبعض هذه الأساليب الإنشائية من أثرٍ فني يعتمد على إثارة الذهن وتحريك الانتباه، كما أنه يظهر ما يعتمل في قلب الإنسان من حيرةٍ واضطراب.

١٧ - ديوانه ص١٦

Scanned with CamScanner

فالنداء في قوله: (يا بنَ غزةَ – يا سليلَ الحزنِ– يا سيدَ المأساة)، يشعرنا بأن حرف النداء (يا) صرخة يطلقها الشاعر ليضفي عليهم عظمة مستمدة من عظمة أفعالهم، هذا بجانب ما للنداء من خصيصة إيقاظ المنادَى وتنبيهه إلى أمر ما يأتي بعد النداء من أمور عظيمة، يحب المنادي أن يلفت نظره إليها، أو يحذره من عدم الاستجابة لها.

ويأتي الاستفهام في قوله: (ما عدتَ تعرفُ يا بنَ غزةَ من تكون؟ – هل أنت ظلُ للنبوءةِ حين تحضنك السماء؟ – أم رايةٌ للحربِ مزّقها السكون؟) فالاستفهام هنا استفهام تعجبي ، لجأ إليه الشاعر ليبين لنا مدى الحيرة والدهشة التي انتابته من حال أبناء غزة الذين يقدمون على الاستشهاد في سبيل أوطانهم وكأنهم يقدمون على الحياة.

وأرى أن الشاعر لم يكن موفقا في قوله: (ما عدتَ تعرفُ يا بنَ غزةَ من تكون؟)؛ لأن الطريق واضح أمام ابن غزة، ولو قال:(ما عدتُ أعرفُ) لكان أفضل.

ويأتي الأمر في قوله: (فاخرجْ من ثيابك– واقرأ المعنى لتعرفَ أن قلبكَ لا يخون – ودعِ المدى يا سيدَ المأساة يكبرُ في يديك – دعْ جلدكَ العاري يمرُ على شواطئنا) ليبث روح الجهاد في النفوس، ويثير الحمية في القلوب، ويحث على التضحية والفداء ،من أجل الحرية التي صارت حلما لكل عربي.

وفي نهاية المقطوعة (دعْ جلدكَ العاري يمرُ على شواطئنا، ويملأ بحرنا ألمًا يطوفُ بمقلتيك) يلجأ الشاعر إلى تقريع الذات العربية التي أصابها الفرقة والشتات، عن طريق توجيه صرخة مدوية يحاول بها إيقاظ الضمائر التي نامت، والنخوة التي ماتت، والإرادة التي لانت ، فهو يستنهض الهمم من أجل إحياء مشاهد البطولة والتضحية لنصرة غزة.

وأما عن العراق الذي كان حاضرة الدولة الإسلامية، وعاصمة العروبة والحضارة وإبان العز الغابر، فيتحدث الشاعر وقد اعتصره الألم الذي استمده من ألم الواقع ومرارته عن مأساة غزوه واحتلاله، وما صاحبه من محاولات طمس الهوية

Scanned with CamScanner

العربية، وقد تملكته الحسرة على ما صار إليه من تخلف وفرقة ، شوهت صورته ، فلم تعد هي الصورة النقية التي اعتدنا أن نراه عليها، يقول في قصيدته (رواية الحلم الثاني عشر):

العمرُ أقطعه إلى جرحٍ يناسبني
فيوصلني رحيلي غيرَ صوتٍ
ظلَّ يسبقه الصدى
ويلمّ دجلةَ والفراتَ كدمعتينِ
ينامُ خلفهما الردى
أين العراقُ؟
أين العراقُ؟
ويطلّ وجهُكِ ضاحكًا
وأزوغُ من نظري إليكِ
لأنّ وجهَكِ كان أجملَ بالفراقْ(١٨)

فالشاعر في هذه المقطوعة يرسم بكلماته صورة مركبة، اعتمد فيها على التشبيه في قوله: (ويلمّ دجلةَ والفراتَ كدمعتينِ) والاستعارة في قوله: (ينامُ خلفهما الردى) ليكشف عن مدى ما وصل إليه العراق من خراب وتدهور.

فالشاعر يشبه العراق ونهريه دجلة والفرات وهما رمز للحياة بالموت وقد نزلت من عينيه دمعتان حزنا على العراق، وأسفا لما يجرى فيه من قتل وتعذيب، وتشريد وتخريب.

وتشبيهه لدجلة والفرات بدمعتين يكشف عن مدى تكثيف الشاعر للحزن على صورة العراق الجميلة التي لا تزال عالقة بخياله، لكن يناقضها الواقع المرير، فهو رافض لهذا الواقع، مُصرٌّ على أن يراها بالصورة التي افتقدها، لا بالصورة

١٨ - ديوانه ص ٢١

Scanned with CamScanner

الواقعية، ومما يعضد هذا استخدامه للاستفهام الإنكاري وتكراره في آخر المقطوعة (أين العراق؟ أين العراق؟).

والقصيدة كلها تعد زفرة حارة وآهة عميقة لما آل إليه العراق.

وبعد ... فهذه هي أبرز الموضوعات التي طرقها الشاعر في ديوانه ويلحظ عليها غلبة الحديث عن الإحساس بالغربة عن الذات، ومحاولة البحث عن و التغني بالألم، والشكوى ، والميل إلى الحزن والتشاؤم.

الفصل الثاني

أبرز المعالم الفنية في الديوان

من خلال ما تم عرضه في الفصل الأول من نماذج شعرية يمكننا أن نضع أيدينا على أبرز المعالم الفنية التي اتسم بها الشاعر في ديوانه ، وأهمها:

أولًا- الاستقاء من البيان القرآني:

لجأ الشاعر في كثير من قصائد الديوان إلى البيان القرآني ، يستقي منه، يضفي على أساليبه ومعانيه ظلالا روحية بالغة الروعة والجلال، ومن أمثلة ذلك قوله في قصيدة (رواية الحلم الثاني عشر):

النارُ قادمةٌ
فقد أبصرتُ في حُلُمي حصانًا
تفتدينَ به ولادَتَكِ الجديدةْ
وصحوتُ منتبهًا لقلبي
لم أفارقْ رغبتي بالخوفِ
حين أطلَّ وجهُكِ بابتسامته البليدةْ
وصرختُ ملءَ العينِ
كانت في يديكِ قلادةُ الموتى
وحبلٌ من مسدْ(١٩)

Scanned with CamScanner

فالشاعر يتكئ على آية كريمة من سورة(المسد) في قوله تعالى: " في جيدها حبلٌ من مسد"(٢٠) ويوظفها توظيفا دقيقا ، من حيث الربط الوثيق والتناغم بين (قلادة الموتى) والتي مكانها العنق والآية الكريمة التي تصف حبل امرأة أبي لهب، وما يجمع بينهما من الموت المحقق .

وفي قصيدة(ملاسنة البحر لليابسة) نرى الشاعر يوظف قصة (يوسف) عليه السلام توظيفا فنيا رائعا، ويستخدم مفرداتها من مثل:

(القميص- البئر- الدم- الذئب- إخوة -سبع عجاف- سبع سنابل) في تجربة شعرية تتناول آلام الشاعر المتكررة، والتي رمز إليها بعنوان القصيدة (ملاسنة البحر لليابسة) وكأن الهموم والآلام هي أمواج البحر، ونفسه هي الشاطئ الذي ترتطم به أمواج الألم والهموم ليل نهار. يقول:

كموطئ عينيكِ من جسدي

كالصباحِ الذي حملتْه إليكِ يدي

لم أشقّ عصًا للغيابِ على عتباتِ المدينةْ

ولم أستردّ قميصي من الوقتِ

كي يوقظَ البئرُ شهوتَنا

فلماذا إذن تنكرين عليّ دمي ؟(٢١)

واستدعاء الشاعر قصة (يوسف) عليه السلام، وما تحتويه من محن وابتلاءات للتدليل على مدى المعاناة التي مر بها لم يكن وليد المصادفة ، بل هو انعكاس لما أثقلت به نفسه من هموم وأحزان ، ومحاولة لتطمين روحه بأن الله سبحانه وتعالى رحيم بالعباد، فمهما كانت معاناته وآلامه – التي لا تقارن بما نزل بيوسف عليه السلام – فإن الله قادر على أن ينصره عليها كما نصر يوسف من قبل.

٢٠ – سورة المسد /٥

٢١ – ديوانه ص ٣٠

Scanned with CamScanner

وفي قصيدته (للعتمة البيضاء قمر أسود) نراه يقول:

أنا ابن السبيل

وطينُ الليالي يضيءُ الخَابيةَ فيَّا

أنا ابنِ السبيلِ معي كنتُ ضِدّي

فغطّي بمنديلكِ المرّ نعشي وصلّي عليَّا

وقولي إذا قمرُ الليلِ زادَ سوادًا

سلامٌ لروحكَ يومَ ولدتَ ويومَ تموتُ وتُبعثُ حيًّا(٢٢)

ففي النص السابق يظهر بوضوح إحساس الشاعر بالغربة عن ذاته، وعن عن القلق النفسي والإحباط المعنوي الذي أصابه ، ثم نرى كيف وظف الشاعر بحسه الشعوري المتدفق الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها الله عز وجل: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) (٢٣) وظفها للتعبير عن محاولته

التغلب على تلك الحالة التي سيطرت عليه، فنجده يستدعي الآية القرآنية ، وما تشعه من ظلال روحية محاولا أن يعيد بها إلى نفسه شعوره المفقود بالأمن والسلام والراحة والطمأنينة.

وما هذا التأثر بالبيان القرآني إلا لأن الشاعر تشربت روحه القرآن الكريم وتشبعت نفسه ببيانه العذب، فأخذ ينهل من معينه، ويرتشف من رحيقه، ويقتبس أزاهيره وعبيره.

ثانيًا- استلهام التراث العربي الأصيل:

إن علاقة الشاعر المعاصر بالتراث علاقة فنية يقف فيها الشاعر متحاورا مع أبعاد التراث ومعطياته ومحاوره .. فهو لا ينقله .. ولكن يستوحيه، إنه يحيي الماضي في الحاضر، ولا يلقى بالحاضر بعيدا في الماضي الساكن الثابت فالتفاعل مع التراث لا يعنى الخضوع له والاستسلام لنماذجه، ذلك أن الاستلهام

٢٢ - ديوانه ص٤٨

٢٣ -

عقم، ولكن التفاعل مع التراث والحوار مع نماذجه انفتاح يؤدى إلى الإبداع الذي هو غاية الفن.[٢٤]

ولما كان شاعرنا حريصًا على العكوف على قراءة تراثنا العربي الأصيل، وبخاصة دواوين الشعراء الأوائل ينهل منها ما شاء، ويستفيد من كل كتاب يقع في يديه؛ فقد تكونت لديه ثقافة أدبية واسعة نتيجة لذلك.

ومن ثم كان أمرًا طبيعيًا أن يتأثر في معانيه ببعض الشعراء الذين قرأ لهم وعايش أفكارهم، وهذه ظاهرة جلية في شعر الديوان، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله في قصيدته (رواية الحلم الثاني عشر):

يا سيدَ الإنشاءِ
ماذا سوفَ يخبركَ المجازُ
إذا الحداثةُ أنشبتْ أظفارها
وإذا تمدّنت الرمالُ
وصار للمعنى بلاغتُه
أأهربُ من مصيري؟![٢٥]

فالشاعر في قوله (إذا الحداثةُ أنشبتْ أظفارها) متأثر بقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظفارَها *** ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[٢٦]

٢٤- شعراء وتجارب نحو منهج تكاملى فى النقد التطبيقى د/ صابر عبدالدايم يونس صـ٢٤٣ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية .

٢٥ - ديوانه ص٢٦

٢٦ - ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، شرحه وقدم له ووضع فهارسه "سوهام المصري " وقدم له د/ ياسين الأيوبي . ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ط المكتب الإسلامي بيروت صـ ١٤٧

Scanned with CamScanner

وكأنه يومئ إلى أن الحداثة التي اجتاحت الحياة الثقافية والأد
عصرنا الحاضر لا يستطيع أحد أن يوقف مسيرتها، فهي كالوحش المفترس
لا سبيل للهروب منه، وهذا ما أظهره تناصه مع أبي ذؤيب الهذلي.
وفي قصيدة (ملاسنة البحر للبابسة) نراه يقول:

مكرٌ مفرٌ،معًا مقبلٌ
كصهيلٍ يراودني عن ثيابي بلمحِ المطرْ
هذه الياسمينةُ منذُ اختليتُ بها
تفتديني بوحشتِها
وأنا منصتٌ للمرايا أعدُّ الأماني التي لم تخنّي
فيحجبُ عنّي البصر
نارَ مَنْ رجعوا وهديلَ الحمامِ
ووجهًا كوجه أبي(٢٧)

فالشاعر يستدعي قول امرئ القيس في وصف سرعة جواده:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا *** كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ(٢٨)

والمتأمل في النصوص السابقة يرى مدى تأثر الشاعر بالشعر القديم،ولا عيب في ذلك؛ما دام يضفي عليها بصمته الشعرية،فهو يحيي الماضي في الحاضر،ويصل التراث بالمعاصرة،مما يؤدي إلى انفتاح على ثقافات مختلفة ومن ثَمّ إلى الإبداع الذي هو غاية الفن.

ثالثًا- الصورة الشعرية:

تعد الصورة الشعرية من أهم عناصر العمل الأدبي، الذي يعمل على إثارة العواطف، فبها يستطيع الشاعر أن يربط بين المفردات المختلفة في شكل فني ملموس، وبها – أيضا- يستطيع أن يقرب عمله من المتلقي، بما تحمله الصورة من إشعاعات لربط الأشكال المتباينة في خيط واضح قريب في الذهن.

٢٧ – ديوانه

Scanned with CamScanner

لذا فالتصوير" أحد الوسائل الفنية المستخدمة في القصيدة، وهو يتكون من مجموعة من العناصر المتباينة،والجزئيات المختلفة التي تتآزر لتخرج في النهاية قدرة تعبيرية عن موقف ما"([٢٩])

ويعرفها الدكتور/علي صبح بقوله:" هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي يتقنيها وجود الشاعر- أعني خواطره ومشاعره وعواطفه- المطلق من عالم المحسات ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"([٣٠])

وعن أهمية الصورة في العمل الأدبي، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال:

"الصورة الشعرية .....تقوم في الشعر بدور الإقناع والتبرير النفسي"([٣١])

فالصورة سمة مهمة في الشعر وهي " أساسه إن لم تكن هي الشعر نفسه" ([٣٢])، وليست شيئًا جديدا ، وإنما" الشعر قائم على الصورة منذ أن و جد"([٣٣]) فهي " مصدر العمل الأدبي ، والمحور الأساسي للقصائد الشعرية " ([٣٤])

وكذلك تنحصر وظيفة الصورة الشعرية في كونها الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة الشعرية، وتمثيلها تمثيلا حسيا؛ ذلك لما تشتمل عليه من مختلف الإحساسات والعواطف والأفكـــار الجزئيـــة ([٣٥])

---

[٢٩]- عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، لعباس بيومي عجلان،ص٢٤٧،دار المعارف،مطابع جريـــدة السفير- الاسكندرية

[٣٠] - الصورة الأدبية. تأريخ ونقد ص١٤٩، د/علي صبح، ط دار إحياء الكتب العربية د.ت.

[٣١] - مجلة المجلة: القاهرة،عدد يوليو ١٩٥٩م، من مقال عن الصورة في المذاهب الأدبية ص٨٨.

[٣٢] - الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، لأحمد دهمان ،دار طلاس للنشر، دمشق،ط ١ ،ص ٩، ١٩٨٦م.

[٣٣] - فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ٣ ، ص ٢٣٠، ١٩٨٣ .

[٣٤] - الصورة الفنية عند علي بن الجهم، دراسة تذوقية تحليلية، عزوز علي إسماعيل، دار محمود، القاهرة، . ط ١، ص٣٨، ٢٠٠٧م. ،

[٣٥] - النقد الأدبي الحديث،د/ محمد غنيمي هلال ص٤١٧، بتصرف – دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

Scanned with CamScanner

لذا كان أمرا طبيعيا أن يعتمد شاعرنا على الصور والأخيلة التي تعبر عما يعتمل في نفسه من مشاعر وأحاسيس وانفعالات في التعبير عن تجربته تعبيرا مؤثرا.

وشاعرنا في هذا الديوان اعتمد في تشكيل صوره – في أغلب الأحيان – على البناء الاستعاري،الذي ينفذ إلى لباب الأشياء، ولا يكتفي بالتصوير الخارجي فقط من خلال التشبيه، ولكنه في جل صوره يتكيء على الاستعارة، التي تكشف عن أثرها وقيمتها الإمام عبدالقاهر " فيقول:

" ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستطرفة تزيد قدره نبلا ، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة ... ومن خصائصها التي تذكر بها – وهي عنوان مناقبها – أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عددا من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر "(٣٦).

ويقول الدكتور/ محمد أبو موسى عن قيمة التصوير بالاستعارة:

" الحس بالشيء ورؤيته في التشبيه غير الحس به ورؤيته في الاستعارة، وكأن بين أيدينا سلما تتعاقب درجاته، ويرتقي فيه الخيال درجة درجة، أو سلسلة تتواصل حلقاتها، ويمضي فيها الخيال واحدة بعد واحدة، تبدأ مع بداية الحس بالمشابهة بين شيئين مختلفين وتنتهي عند وهج الإحساس بصيرورتهما شيئا واحدا"(٣٧)

ومن أمثلتها الكثيرة في الديوان قوله في قصيدة (مقدمة لحنين مؤجل):

٣٦- أسرار البلاغة، للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجي ١/ ١٢٦ – ١٢٧ ط مكتبة القاهرة.

٣٧ – التصوير الـ...

Scanned with CamScanner

يتصبّبُ مني هذا النيلُ
وحيدًا في الصحراء ركبتُ الظنّ
وحمّلني التاريخُ غوايتَه كي أرحلَ عنّي
فسألتُ الوقتَ الهاربَ
كيف أخونُ؟([٣٨])

فلو تأملنا هذا المقطع القصير لرأينا مدى ولوع الشاعر بالاستعارة، حيث لم يخلُ سطر شعري منها، فنراه يضفر هذا المقطع بأربع استعارات تكشف عن نبرة الحزن والألم التي سيطرت عليه، وتفصح عن مدى إحساسه بالغربة عن ذاته،ويظهر ذلك في: تصبب الليل،وركوب الظن،وغواية التاريخ، وسؤال الوقت الهارب.

وفي قصيدة (رواية الحلم الثاني عشر) يقول:

وبدايةُ المعنى عيونكِ حين أوغلُ فيهما
والفجرُ مختنقٌ برائحةِ القنابلْ
والبحرُ حين تمرُّ عنه كنايةُ المجنونِ
أعرفُ من أنا
ويدلُّني عاري عليّ بصمتِ من ذهبوا
وأحزانِ السنابلْ([٣٩])

فاختناق الفجر، وأحزان السنابل استعارتان اعتمد عليهما الشاعر في إظهار عجزه، وبثه الحزن والألم ،وسواء أكان ألم الشاعر وهمومه مبعثه ذاته نفسها ، أم هو انعكاس لآلام الناس وهمومهم ، فإن الشاعر استطاع أن يعبر عن هذه الشحنة النفسية تعبيرا صادقا من خلال توظيفه للاستعارة.

وفي قصيدة (للعتمة البيضاء قمر أسود) يقول:

---

٣٨ - ديوانه ص٦

٣٩ - ديوانه ص٢٢

Scanned with CamScanner

صهيلُ الأماكنِ جرحٌ على وجنةِ الكونِ
والليلُ يقصفُ عمري
صهيلُ الأماكنِ ما زال حيًّا
ولكنَّ الذي ماتَ صبري(١٠)

فالشاعر في هذا المقطع يكشف من اعتماده على الاستعارة من مثل قوله: (صهيل الأماكن، وجنة الكون، الليل يقصف عمري) وإذا تأملنا تلك الاستعارات حسيها لرأيناها تشف عن نفس شاعرة تملكها الحزن والألم ، وهذا الملمح ظاهر في معظم قصائد الديوان .

وأما عن الكناية:فهي تعد من الأساليب البلاغية ذات التأثير الحسي البارز لما لها من دور في نقل المشاعر والأفكار إلى السامعين، إذ تتمتع بمزايا عدم التصريح بما تعافه النفس، وهي وسيلة لتأكيد الفكرة وتجديدها، وتثبيتها في النفوس بل والمبالغة في ذلك، وفيها إثارة للعواطف وتحريك للأذهان لأنها تمثل المعاني وتصبها في قوالب حسية لها فعاليتها وأثرها العميق، ولو رحنا نفتش عنها في الديوان لوجدناها قليلة- إذا ما قورنت بالاستعارة- ومن أمثلتها قوله في قصيدة (هامش للوطن ومتن للغياب) وهو يخاطب ابن غزة :

ما كنت تعرفُ يا نديَّ الجفنِ
أنَّ حصانكَ العربيَّ ماتْ
وأنَّ جرحكَ شيَّعتْه الذكرياتُ المهملةْ
ما كنتَ تعرفُ أنَّ جوعكَ
يا نديمَ الحزنِ
إكليلُ انتصارٍ فوقَ هاماتِ الجيوشِ المرسلةْ
قد ضاعَ ماؤكَ في ترابٍ كنتَ فارسه
فغادرْ
لم يعد في العمرِ متسعٌ لتدخلَ في نهارك

Scanned with CamScanner

أو تقودَ المرجلةْ([1])

فقوله:(ندي الجفن) كناية عن ملازمة العين للبكاء، وقوله:(نديم الحزن) كناية عن مصاحبة الحزن له، وجمال الكناية هنا لا يقف عند حدود ما هو حاضر وظاهر في هذا البناء، بل يتجاوزه إلى ما هو خفي ومضمر، ولهذا فهي قادرة على إثارة ذهن القارئ واستفزاز وعيه.

وأما عن التشبيه: فكان الشاعر نادرا ما يلجأ إليه؛ ولعل السر في ذلك يرجع إلى أن الشاعر يرى أن الاستعارة تنفذ إلى لباب الأشياء،فهي أبلغ من التشبيه الذي يركز - في أغلب الأحيان- على التصوير الخارجي، وهذا مالا يطلبه الشاعر، بل يطلب الجوهر واللباب، وهو ما دعاه إلى الاعتماد على البناء الاستعاري في تشكيل صوره.

ومن تشبيهاته القليلة في الديوان قوله في قصيدة (رواية الحلم الثاني عشر) التي يتحدث فيها عن العراق:

العمرُ أقطعه إلى جرحٍ يناسبني
فيوصلني رحيلي عبرَ صوتٍ
ظلَّ يسبقه الصدى
ويلمّ دجلةَ والفراتَ كدمعتينِ
ينامُ خلفهما الردى
أين العراقْ؟
أين العراقْ؟([2])

فالشاعر يشبه العراق ونهريه دجلة والفرات وهما رمز للحياة بالموت وقد زلت من عينيه دمعتان حزنا على العراق، وأسفا لما يجرى فيه من قتل وتعذيب، تشريد وتخريب.

---

[1] - ديوانه ص ١٨

[2] - ديوانه ص ٢١

Scanned with CamScanner

وتشبيهه لدجلة والفرات بدمعتين يكشف عن مدى تكشف الشاعر ال
على صورة العراق الجميلة التي لا تزال عالقة بخياله، لكن تناقضها الواقع ال
الذي يرفضه شاعرنا ويصر على أن يراها بالصورة التي اعتادها، لا بالص
الواقعية، ومما يعضد هذا استخدامه للاستفهام الإنكاري وتكراره في آخر المقط
(أين العراق؟ أين العراق؟).

رابعًا- المفارقة:

ذكر صاحب لسان العرب من معاني المفارقة تحت مادة (فرق) ق
"وفارَقَ الشيءَ مُفَارقةً وفِرَاقاً: بايَنَهُ "([٤٣]) ويقترب هذا المعنى من الدلالات ال
تفيدها لفظة المفارقة كمصطلح حديث، وأسلوب فني يستخدم في النصوص
الإبداعية.

فالمفارقة شكل من أشكال القول يكون المعنى المقصود منه عكس المعن
الذي تعبر عنه الكلمات المستخدمة، وتقوم المفارقة بشكل أساسي على التضاد بي
المعنى الظاهري والمعنى الباطني، وكلما اشتد التضاد بينهما زادت حدة المفارق
في النص.

و في الدرس النقدي المعاصر يتردد مصطلح المفارقة بوصفه(أحد تجليات التحول الأسلوبي)([٤٤])والحيل اللفظية التي يتم التعبير بها عندما يعبر وعي المبدع عن إمكان الإحاطة بواقع مرفوض من قبله أصلاً ، فتكون المفارق كبديل للتأشير السالب على ذلك الواقع عاكسة ذات المبدع بكل ما يلفها من أسى

وهي بهذا التعريف أحد المولدات الرئيسة لشعرية النصوص، ويتم التعام معها عند معاينتها داخل السياقات الأدبية التي توجد فيها بوصفها وسيطًا لغويًا بين المبدع والمتلقي.....ويستخدم صاحب المفارقة ألفاظه استخدامًا خاصًا ومكثفً

---

[٤٣] - لسان العرب،لابن منظور، طبعة جديدة [illegible] أحمد العدلي العبيدي، [illegible]

عن وعي بقصدية هذا التكثيف، مفترضًا متلقيًا يستطيع الوقوف على كثافة تلك الألفاظ ومدلولاتها البعيدة في سياقاتها.([٤٥])

لذا لا تصدر المفارقة إلا عن ذهن متوقد ، ووعي شديد ، ووظيفتها إحداث الصدمة واللذة في نفس القارىء.

وشاعرنا في هذا الديوان أكثر من اعتماده على المفارقة في بناء معانيه وتمثلها، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن أسلوب المفارقة هو الأسلوب الأبرز في الديوان و لا تخلو قصيدة من الاعتماد عليه، وكان توظيف الشاعر لها توظيفا فنيا رائعا يخدم المعنى الذي أراده، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قوله على لسان صديق له في قصيدة (ملاسنة البحر للياسة):

ستوقدُ نارًا وتطفئها

وتصومُ على جوعكَ الأبديّ

فتخسرُ طوقَ النجاةْ

ستحفرُ قبرًا بحجمِ بلادٍ

لعلَّكَ تعثرُ فيه على بذرةٍ للحياةْ([٤٦])

فما أجمل قوله " ستحفرُ قبرًا بحجمِ بلادٍ لعلَّكَ تعثرُ فيه على بذرةٍ للحياةْ" فجمال الصورة التي هي" رسم قوامه الكلمات" ([٤٧])هنا قائم على المفارقة بين القبر الذي هو رمز للموت، وكيف يصبح رمزا للحياة؟.

ومن معاني الشاعر الرائعة التي قامت على المفارقة قوله في قصيدة (هامش للوطن ومتن للغياب):

---

[٤٥] – المفارقة في رسالة التوابع والزوابع دراسة نصية، د. هاشم العزام ،بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٦ ، ع ٢٨ ، شوال ١٤٢٤ ه، ص١٠٢٠ بتصرف.

[٤٦] – ديوانه ص٣٣

[٤٧] – الصورة الشعرية، د. س لويس ترجمة أحمد ناصيف الجنابي ومالك مدني وسلمان حسن إبراهيم، ومراجعة الدكتور عناد غزوان، ١٩٨٢ ،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ص ٢١

Scanned with CamScanner

قد ماتَ جدّي يا غريبَ الدارِ حينَ
عرفتِه
وأبى انقضى زمنَ الغوايةِ
والشرى صمتي
فأدركتُ الفصاحةَ حينَ خاصمني الكلامْ(٤٨)

فالشاعر في قوله (فأدركتُ الفصاحةَ حينَ خاصمني الكلامْ) يعتمد على المفارقة في بيان أن الصمت لغة لا يجيدها إلا من عرف أسرارها، ومن هنا يكون الصمت - في كثير من المواقف - أبلغ من الكلام، وله تأثيره الفاعل في نفوس الآخرين. وهذا ما ساعدت المفارقة في إظهاره وتجليته، لذا قال عنه الإمام عبدالقاهر: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت على الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق"(٤٩).

وفي قصيدته (رواية الحلم الثاني عشر) يقول:

قد ضاعَ شيءٌ لا أراهُ
والليلُ مئذنةٌ لصمتي
والمدينةُ طفلةٌ عمياءُ تبحثُ عن مقامٍ للصلاةْ
لا لم تصالحني الغرابةُ بعدَ هذا الليلِ
فالمنفى هو المنفى
وتاريخُ الجنازةِ في العراقِ يظلُّ تاريخَ الحياةْ(٥٠)

فالشاعر يتملكه الحزن والألم لما صار عليه العراق من تمزيق وفرقة، وما يحدث لأبنائه من قتل وتشريد، لكنه متمسك بالأمل، وواثق في النصر، ونراه

٤٨- ديوانه ص ١٤
٤٩- دلائل الإعجاز

يلجأ إلى المفارقة في قوله: (وتاريخُ الجنازةِ في العراقِ يظلُّ تاريخَ الحياةْ) ليؤكد أن المنحة تخرج من رحم المحنة، وأن الحياة بذرتها الموت .

ومن أروع قصائده قصيدة (في جهنم) حيث تمثل رهافة الحس، ورقة الشعور والوجدان، يقول:

في جهنَّمْ
في جهنَّمْ
قاتلٌ يقتلُ ظنّي
وهو لا يعرفُ أنّي
أتألَّمْ
ليس من جرحي ولكنْ
من صديقٍ
حينما شاهدني أبكي
تبسَّمْ([1])

فالمتأمل في هذه القصيدة يرى أن البناء الفني لها يقوم على أمرين:

الأول – المفارقة المتمثلة في تبسم الصديق ولذته حينما يرى ألم صديقه، وهذا ما يضاعف في نفس الشاعر الحسرة والألم، لأنه كان يظن أن صديقه سيشاركه ألمه، ويقاسمه أحزانه، لكن صعقته الصدمة، وقتلته البسمة.

واستطاع الشاعر بهذه المفارقة أن يكشف عن مدى أسفه وحزنه ، لا عن خداع صديقه فحسب، ولكن لغفلته وسوء تقديره.

الآخر: قافية القصيدة(الميم الساكنة). والميم بغنته يشعرنا بأنين الشاعر وزفراته التي تتناسب مع جو الحزن والأسى الذي يسيطر على القصيدة.

[1] – ديوانه ص٩٣

Scanned with CamScanner

أيضا وفق الشاعر في انتقاء ألفاظه حيث جسدت معانيه، من مثل قول (جهنم- قاتل- يقتل- ظلمي- أتألم) فهذه الألفاظ تصور بدقة ما يعانيه الشاعر من حزن وألم.

كما ينبع جمال هذه القصيدة من كثرة حروف المد التي تسمح بإخراج أكبر قدر من زفرات الألم التي في صدر الشاعر، من مثل قوله (في - قاتلٌ - ظلمي - ألمي - جرحي - صديق - شاهدني - أبكي) فكثرة حروف المد تتفق مع معاناة الشاعر النفسية وآلامه التي كان سببها سقوط قناع الصداقة المزيف من على وجه صديقه وانخداعه فيه ، وبخاصة حرف (الياء) الذي نشعر مع ترديده بالأنين والألم الداخلي.

وفي قصيدة (جمرة النشيد الأخير) مفارقة معنوية، غريبة وعجيبة، مخالفة لما عليه حال الشاعر في كل قصائد الديوان، يقول مخاطبا أباه:

ها نحنُ جئناكَ ارتجافًا لا وراءَ ولا أمامْ

فاحملْ جراحكَ وانسحبْ

نحنُ الذين نمرُّ منكَ إليكَ

حاذرْ يا أبي أن تكتئبْ(٥٢)

فالشاعر في هذه القصيدة يوصي أباه ألا يحزن، وألا يكتئب، مع أن الحزن يخيم عليه في كل قصائد الديوان، وكأنه يتلذذ بهذا الحزن الذي طغى على تجربته الشعرية ، وصبغها بصبغة الألم والأسى. ولعل الشاعر في وصيته هذه لا يريد لأبيه أن يعاني مما عانى منه ، فراح يحذره من الوقوع فريسة للاكتئاب والحزن.

Scanned with CamScanner

خامسا- إيحائية العناوين وشاعريتها:

عنوان القصيدة هو أول ما تقع عليه عين القارئ، وهو الباب الذي ندخل منه عالم القصيدة، لذلك فهو يمثل ركنا مهما في تمثل تجربة الشاعر بما يمنحه من دلالات تكشف عن كثير من الأفكار والمعاني .

وماهية الإيحاء أنه يجعل الشعر أبلغ تأثيراً في النفس وأكثر علوقاً في القلب، لأنّ نفس المتلقي تسهم إسهاماً فعالاً في إدراكه، فكأنها بذلك قد أسهمت في صنع الإيحاء وظلال الكلمات، يضاف إلى ذلك أن الإيحاء والظلال يحققان للمبدع متعة ويسعفانه بالتعبير عن انفعاله، وهذا يتم بتضمين الكلمات القليلة معاني كثيرة ولا يتحقق الإيحاء إلا إذا كان الشاعر واسع الخيال، ليأتينا بالمُبتدَع والجديد من الصور، وهذا يحلق بالمتلقي في أجواء ربما لم يدركها الشاعر نفسه. (٥٣)

والحقيقة أن الشاعر في كثير من قصائده كان موفقا في اختيار العنوان المناسب الذي يمثل مفتاحا دلاليا له وظيفته الإيحائية في الكشف عن عالم القصيدة منذ الوهلة الأولى.

وإذا كان الشاعر – في قصائد الديوان – قد أضناه الحزن والألم ، فمال إلى التشاؤم ، وتملكه القلق، وعانى من الحيرة، وبدا غريبا عن ذاته ، بعيدا عن نفسه فإننا إذا تأملنا معظم عناوين القصائد نجدها تترجم كل ما سبق، ومن هذه العناوين:

(ضمير منفصل- مقدمة لحنين مؤجل- هامش للوطن ومتن للغياب- ملاسنة البحر لليابسة- للعتمة البيضاء قمر أسود- على العتبات دمي والهواء- جمرة النشيد الأخير- قلق مقتضب - ظلمة- بدايات صهيل- في جهنم - غريب).

ويحاول البحث أن يلقي مزيدا من الضوء على مدى شاعرية العنوان وإيحائيته من خلال الوقوف على بعض العناوين بشيء من التفصيل:

---

٥٣ – الصورة الأدبية طبيعتها وجماليتها د. كريم الوائلي مجلة الثقافة العربية ٨٦ ، بتصرف، بنغازي ، عدد نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٠ م، وينظر: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الفكر ١٩٥٩م.

Scanned with CamScanner

١ – ضمير منفصل (*):

وهو عنوان لقصيدة تكشف عن معاناة الشاعر وإحساسه القوي بغربته ذاته، وانفصاله عن شخصيته، فجاء العنوان ليحمل هذه المعاني، ويعطي إشارة إلى تعانق العنوان ومتن القصيدة، يقول فيها:

كم كنتَ ملتبسًا بظني
والمرايا بيننا بيضاءُ مثلُ بداية المعنى
أقابلها
فتبعدُ وجهكَ المذبوحَ عني
يا شبيهي
لم أغازلْ صورةً في الماءِ
تحسدني عليها
أو أخالفكَ الحنينَ .. فلا تخنّي
يا شبيهي
جرّني قلبي إليكَ
وحينما أصبحتُ قربكَ ضعتُ منّي(**)

٢ – هامش للوطن ومتن للغياب:

وهو عنوان لقصيدة يتحدث فيها الشاعر عن مأساة غزة،وعن غياب العربية في نصرتها، والوقوف معها أما العدو الغاشم، وكيف أصبحت قضية على هامش اهتماماتهم.

أيضا جاء العنوان معبرا وموحيا، حيث صور فيه الشاعر قضية بكتاب له متن وهامش، والطبيعي أن يكون المتن ذا الأهمية الكبرى ثم يأتي بعده الهامش، لكن شاعرنا بهذا العنوان يعطى الأهمية الكبرى للغياب عن

---

* – ومثلها قصائد: بصيرة– على العتبات دمي والهواء– جمرة النشيد الأخير– قلق مقتضب– قلق بداية صهيل– غريب.

** – ديوانه ص ٥

غزة؛ لأنه الواقع الذي يرفضه، ويعطي هامشا يسيرا للوطن (غزة) الذي يستحق منا أن يكون متنا، لا هامشا.يقول مخاطبا ابن غزة:

ما كنتَ تعرفُ يا نديمَ الحزنِ
أنَّ حصانَكَ العربيَّ مات
وأنَّ جرحَكَ لم يعُدْه الذكرياتُ المهملة
ما كنتَ تعرفُ أنَّ جوعَكَ
يا نديمَ الحزنِ
إكليلُ انتصارٍ فوقَ هاماتِ الجيوشِ المرسلة
قد ضاعَ ماؤكَ في ترابٍ كنتَ فارسَه
فغادرْ
لم يعدْ في العمرِ متَّسعٌ لتدخلَ في نهارك
أو تقودَ المرحلة(٥٦)

٣ – ملاسنة البحر لليابسة:

وهو عنوان قصيدة يتحدث فيها الشاعر عن آلامه المتكررة، والتي رمز إليها بعنوان القصيدة، وكأن الهموم والآلام هي أمواج البحر التي لا تتوقف، ونفسه هي الشاطيء الذي ترتطم به أمواج الألم والهموم ليل نهار، يقول فيها مخاطبا نفسه:

ليتكَ تعرفُ ماذا جنيتَ
تقول بسبعِ سنابلَ سوف يعودُ الحمامُ إلى عشِّه
فاحتسبْ ما رأيتَ
وخذْ ما تبقَّى من الزادِ
هذا الرحيلُ الذي بتَّ تحملُه في ضلوعِكَ
لن يحملَكْ

٥٦ – ديوانه ص ١٨

Scanned with CamScanner

واسترخ من غبارك
غادرْ مكيدةَ من أخرجوكَ
وحاذرْ من الذئبِ يأتيكَ في كلِّ جوعٍ
لكي يأكلكَ(٥٧)

ومما زاد من تعانق هذا العنوان مع القصيدة توظيف الشاعر لقصة يوسف" عليه السلام، وما تعرض له من محن وابتلاءات ، وكأن الشاعر يسر نفسه ، ويمنيها بالنصر كما حدث لنبي الله يوسف عليه السلام

وبعد .. فهذه هي أبرز الخصائص الفنية التي اتسم بها نتاج الشاعر فجاءت واضحة جلية ، وهي بلا شك جوانب اتسمت بكثير من الفنية والحرص على جلاء الصورة وتوضيح المعاني مما يجعل المتلقي يعايش هذه النصوص بروح فنية وحرص على معايشتها معايشة وجدانية.

خربشات على وجه الديوان:

من باب الأمانة العلمية، والنظرة الموضوعية، أسجل بعض التحفظات على بعض المقاطع الشعرية التي أرى أن الشاعر قد خالفه التوفيق في التعبير بها عن رؤيته، ومنها:

١ – قوله عن العراق في قصيدته (رواية الحلم الثاني عشر):

لا لم أذقْ ماءً بمنحتكِ
فاسمعيني
كيفَ أشرحُ وجهةَ النظرِ اليتيمةَ
عن بلادٍ ضيعتني للأبدْ
وعن الحبيبةِ حينما أرخت جدائلَها
على صدرِ الغريبِ
فشاركته الليلَ بين حقيقتين

Scanned with CamScanner

دمي وشهوتها بتقديس الجسد(٥٨)

فالشاعر يصور العراق بالحبيبة التي أعرضت عن حبيبها ، ولديها رغبة ملحة في أن ترتمي في أحضان الغريب وهو المحتل الغاصب، والسياق يكشف عن هذه الرغبة الملحة من العراق حينما يقول الشاعر: (وعن الحبيبة حينما أرخت جدائلها على صدرِ الغريبِ) وقوله: (فشاركته الليلَ بين حقيقتين دمي وشهوتها بتقديسِ الجسد).

وأرى أن الشاعر في ذلك قد تجنى على العراق؛لأنه أسند إليها رغبة في المحتل، وهذا ينافي الحقيقة، حتى ولو كان بعض أبنائها الذين قدموا مصالحهم الشخصية على مصلحة الوطن مرحبين بالمحتل الغاصب، ذلك أن السواد الأعظم من الشرفاء من أبناء هذا الوطن يرفضون ذلك الاحتلال البغيض، بل ويجاهدون من أجل إسقاطه ورحيله.

٢ – قوله في قصيدة (ونتلوا النشيد ختاما):

هنا وهنالك لا شيءَ يعرفنا

الربيعُ لهم، والخريفُ لنا

لو تمدّينَ من كلِّ صيفٍ ذراعا

أسدُّ عليكِ المدائنَ عامًا جيّدًا

وها وجهُنا نحشدُ اللهَ فيهِ

ونمضي غريبين يشتدُّ فينا الأسى

ونجابهُ أحلامنا في الخرافةِ حينَ نموتُ جياعا(٥٩)

وأرى أن الشاعر قد خانه التعبير بقوله: (وها وجهُنا نحشدُ اللهَ فيهِ) ؛ لأنه تعبير لا يليق أبدا بقداسة المولى عز وجل.وصورة يأنفها الذوق ، وتأباها الفطرة السليمة.

٥٨ – ديوانه ص٢٤

٥٩ – ديوانه ص٧٩

Scanned with CamScanner

٣ – قوله مخاطبا محبوبته في قصيدة (خارطة الليل المنتظر):

سنقذفُ للبحرِ أسماءنا
ولحبِّي تاريخنا في حقيبة
تُرى هل عرفتِ لماذا كرهتُ القصائد
لأنكِ لم تفهميني
ولم تدخلي في دمي رغم هذا الكلام الكثير
لأني أحاولُ أن أعبدَ اللهَ فيكِ
وأنتِ تريدينَ مرثيتي زينةً للقاءِ الأخير(٦٠)

فالشاعر في قوله:(لأني أحاولُ أن أعبدَ اللهَ فيكِ) – أيضا لم يحالفه التوفيق في تعبيره هذا،مع ما فيه من شاعرية وتأثر بقول الشاعر فاروق جويدة:

إني أحن إلى هواك كطائر
يهفو إلى العش البعيد
و غدا سيأتي بعدنا الأمل الجديد
أنا حائر بين الضلالْ
لا تتركيني في خريف العمر تقتلني.. الظلال
فأنا عبدت الله في عينيك يا نبع.. الجمال(٦١)

ومع هذا فإن ديوان(مقامات رجل واحد) للشاعر الدكتور سلامة العمري يعد من النماذج الشعرية الراقية؛ لما يضمه من معان سامية، وأغراض شريفة متنوعة، ولما يتسم به من سمات الفن الشعري الحقيقي من صور وأخيلة، ومعان تكشف عن شاعر حقيقي في زمن قلَّ فيه الشعراء الحقيقيون، وخفتت أصواتهم بينما تصدر الساحة الأدبية متشاعرون، أو أنصاف مواهب، فملؤوها بالغث مما يطلقون عليه شعرا.

٦٠ – ديوانه ص٦٥
٦١

الخاتمة

بعد هذه السياحة في ديوان (مقامات رجل واحد) للشاعر سلامة العمري خلصت الدراسة إلى كثير من النتائج، ومن أهمها:

١ – أظهر هذا البحث شاعرا من الشعراء المغمورين الذين لم يأخذوا حقهم من البحث والدراسة، ينتمي إلى المدرسة الرومانسية، حيث يلجأ للتعبير عن مكنون نفسه، فينكفيء على ذاته، ويجنح إلى الحيرة والقلق أو ما يعرف بالهروب الرومانسي في معظم قصائده.

٢ – إيثار الشاعر شعر التفعيلة قالبا لتجربته يكشف عن روح شاعرة متمردة ، تبحث عن التميز من خلال كسر القيود، والخروج عن المألوف.

٣ – تنوعت موضوعات شعره، ما بين الحديث عن الإحساس بالغربة عن الذات، ومحاولة البحث عنها، و التغني بالألم، والشكوى ، والميل إلى الحزن والتشاؤم، والاهتمام بقضايا الأمة العربية.

٤ – جاءت لغة الشاعر– في أغلبها – سهلة عذبة رقيقة، مناسبة للمعاني الشعرية،كما جاءت – أحيانا – غامضة ، تحتاج إلى كد ذهن، وإعمال عقل.

٥ – أظهر البحث علاقة الشاعر بالتراث العربي الأصيل ، فهي علاقة قائمة على تشرب روح الشاعر لهذا التراث التليد، وإحيائه وتقديمه في شكل عصري يتناسب وظروف عصره التي تختلف تماما عن العصور الأولى،وهو في هذا ينحو منحى كثير من الشعراء الرومانسيين.

٦– اتكأ الشاعر– كثيرا– على البيان القرآني، في ألفاظه، ومعانيه، وصوره.

٧ – اعتمد الشاعر في تشكيل صوره – في أغلب الأحيان – على البناء الاستعاري،الذي ينفذ إلى لباب الأشياء، ولا يكتفي بالتصوير الخارجي فقط من خلال التشبيه.

Scanned with CamScanner

٨ – أظهر البحث أن أسلوب المفارقة هو الأسلوب الأبرز في الديوان الذي لا تخلو قصيدة من الاعتماد عليه، وكان توظيف الشاعر له توظيفا فنيا رائعا يخدم المعنى الذي أراده.

١٠ – كشف البحث عن مدى العلاقة الإيحائية بين قصائد الديوان وعناوينها، فعنوان القصيدة هو العتبة التي يدخل من خلالها إلى النصّ ، وبدايته وبالتحديد الأولى المحرّضة على قبوله أو النفور منه، وكانت عناوين القصائد- غالبا- تختزل معانيها، وتنبيء عما يريد الشاعر البوح به.

١١ – عُني الشاعر بالموسيقى الداخلية، التي تنبع من اختياره لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات .

وبعد:

فأرجو أن أكون – بهذا المجهود المتواضع – قد وفيت الموضوع حقه من البحث والدراسة، وأن يكون عملي هذا مما ينتفع به، والله تعالى من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

تمَّ بحمد الله

الباحث

د. علي عبداللطيف عبدالرحمن سليم

Scanned with CamScanner

قائمة المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا -المصادر:

- ديوان مقامات رجل واحد- للشاعر الدكتور سلامة العمري، لا يزال مخطوطا، وقد أجيز، وحصل على موافقة بالنشر من اتحاد الكتاب الأردنيين سنة ، وهو الآن قيد الطبع.

ثالثا - المراجع :

١- أسرار البلاغة، للإمام عبدالقاهر الجرجاني ، تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط مكتبة القاهرة

٢ - التصوير البياني، للدكتور محمد أبو موسى- الطبعة الثانية- مكتبة وهبة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٣ - الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، للدكتورة مريم جبر فريحات، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق – المجلد ٢٦- العدد الثالث+الرابع ٢٠١٠ م

٤ - الخطيئة والتكفير، عبدالله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، ط ١، ١٩٨٥ .

٥ - دلائل الإعجاز عبدالقاهر الجرجانى تعليق وشرح أ.د/ محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة ١٩٨٠م ــ ١٤٠٠هـ .

٦- ديوان ابن الرومي ، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، ج ١،الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧ - ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، شرحه وقدم له ووضع فهارسه "سوهام المصري " وقدم له د/ ياسين الأيوبي . ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م طـ المكتب الإسلامي بيروت.

٨ - ديوان امريء القيس ن تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، الطبعة الخامسة، دار المعارف.

٩ - شعراء وتجارب نحو منهج تكاملى في النقد التطبيقى د/ صابر عبدالدايم يونس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية .

Scanned with CamScanner

١٠- الصورة الأدبية، تأريخ ونقد ، د/علي صبيح، ط دار إحياء الكتب
د.ت.
١١- الصورة الأدبية طبيعتها وجمالياتها ، د. كريم الوائلي ، بحث
بمجلة الثقافة العربية ، بنغازي ، عدد نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٠ م.
١٢- الصورة البلاغية عند عند القاهر الجرجاني، لأحمد دهمان دار
للنشر ، دمشق،ط ١ ، ١٩٨٦م.
١٣- الصورة الشعرية، د. س لويس ترجمة أحمد ناصيف الجنابي ومال
وسلمان حسن إبراهيم، . ومراجعة الدكتور عناد غزوان، ١٩٨٢ مؤسسة
للطباعة والنشر، الكويت،
١٤ - الصورة الفنية عند علي بن الجهم، دراسة تذوقية تحليلية، عزو
إسماعيل، دار محمود، القاهرة، . ط ١، ٢٠٠٧م.
١٥- عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، لعباس بيومي عجلان،
المعارف،مطابع جريدة السفير- الاسكندرية
١٦- فن الشعر، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ٣ ، ١٩٨٣
١٧- لسان العرب،لابن منظور،طبعة جديدة ومنقحة، تصحيح محمد أمين
الوهاب ،وأحمد الصادق العبيدي،١٩٩٩ ، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط
١٨ - مجلة المجلة: القاهرة،عدد يوليو ١٩٥٩م، من مقال عن الصورة
المذاهب الأدبية.
١٩ - المجموعة الكاملة ، فاروق جويدة، ديوان ويبقى الحب ، من قصيدة
والحب"، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م،الناشر مركز الأهرام للترجمة والنش
٢٠- المفارقة في رسالة التوابع والزوابع دراسة نصية، د. هاشم العزام بح
منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٦
٢٨ ، شوال ١٤٢٤ ه.
٢١ - النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الفكر ١٩٥٩م.
٢٢ - النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة- بيروت ١٩٨٧م
٢٣- النقد الأدبي الحديث،د/ محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر للطبع
والنشر، القاهرة.
٢٤- وحي الحرمان ، عبدالله الفيصل ، دار الأصفهاني، جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م

Scanned with CamScanner

Critical Reading in Diwan (Maqamat one man) for Poet Dr.Salama AlEmary

Search Summary

Search cares to provide a serious study of a contemporary poet, who represents the romantic current a good representation, and through his collection of poetry (one man shrines) OR (Maqamat one man).
The Diwan runs the variety of poems, varying in vision and content, and includes also among them the group of noble values and affluent sentiments, emotions crystal clear, and sensations delicate, so it was my motive to accomplish this research is to try to detect these values, and its manifestations , and show the beauty of Arabic literature in front of the eyes of young people to bloom their knowledge on such creations that elevate the human self-transcend.
This research was built on an introduction, preface, and two chapters, and a conclusion..
I showed the importance of the subject, and the reasons for his choice, method, and the research plan in the introduction
The boot: dealt with the definition of the poet and his poetic Diwan
The first chapter entitled: (main topics of the poetic Diwan) and came in three topic
First - a sense of self-alienation, and try to search for them.
Second - mantras of pain, and the complaint, and the tendency to sadness and pessimism .
Thirdly - attention to issues of the Arab nation .
The second chapter entitled: (technical highlights in the Poetic Diwan) came in five subjects;
First; Elicit or bring out of the Qur'anic statement
Secondly - inspired by authentic Arab heritage .
Third - the poetic image.
Fourth - the irony .
Fifth - suggestive titles and its poetic.
Conclusion: We have deposited the most important findings of the research, and then followed to the list of sources and references .

Scanned with CamScanner